

تفسير ابن كثير

قُلْ لِّلْعِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ

يقول تعالى آمرا العباد بطاعته والقيام بحقه ، والإحسان إلى خلقه ، بأن يقيموا الصلاة وهي عبادة الله وحده لا شريك له ، وأن ينفقوا مما رزقهم الله بأداء الزكوات ، والنفقة على القربات والإحسان إلى الأجانب . والمراد بإقامتها هو : المحافظة على وقتها وحدودها ، وركوعها وخشوعها وسجودها . وأمر تعالى بالإنفاق مما رزق في السر ، أي : في الخفية ، والعلانية وهي : الجهر ، وليبادروا إلى ذلك لخلاص أنفسهم (من قبل أن يأتي يوم) وهو يوم القيامة ، وهو يوم (لا يبيع فيه ولا خلال) أي : لا يقبل من أحد فدية بأن تباع نفسه ، كما قال تعالى : (فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا) [الحديد : 15] . وقوله : (ولا خلال) قال ابن جرير : يقول : ليس هناك مخاللة خليل ، فيصفح عمن استوجب العقوبة ، عن العقاب لمخالته ، بل هنالك العدل والقسط ، فالخلال مصدر ، من قول القائل : " خاللت فلانا ، فأنا أخاله مخاللة وخلالا " ومنه قول امرئ القيس

صرفت الهوى عنهن من خشية الردى ولست بمقلي الخلال ولا قالوقال قتادة : إن الله
قد علم أن في الدنيا ييوعا وخلالا يتخالون بها في الدنيا ، فينظر رجل من يخال وعلام
صاحب ، فإن كان الله فليداوم ، وإن كان لغير الله فسيقطع عنه . قلت : والمراد من هذا
أنه يخبر تعالى أنه لا ينفع أحدا بيع ولا فدية ، ولو افتدى بماء الأرض ذهباً لو وجده ،
ولا ينفعه صداقة أحد ولا شفاعة أحد إذا لقي الله كافراً ، قال الله تعالى : (واتقوا يوماً
لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون
([البقرة : 123] وقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي
يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون) [البقرة : 254] .